الدلالات الرمزية للطقوس الروحانية في العمارة الدينية

(الأديرة والتكايا نموذجًا بين التأثير والتأثر)

Symbolic evidences of spiritual rituals in religious architecture
(Monasteries and Takaya between influence and impact)

د/هالة محمد المرزبان

الملخص

إن الطقوس التي تمارس داخل الأديرة أو التكايا تكون عبر مجموعة من الرموز المادية واللامادية ذات معان ودلالات محددة لفهم الظاهرة الدينية، وفهم سلوك المنتمين إلى كل طائفة دينية، فالممارسات الدينية تكفل عبر رمزيتها تبادل المعاني وتثبيت الدلالات.

ويتناول ذلك البحث خصوصية الطقس الديني والبعد الروحاني في الأديرة والتكايا في كل من العصرين القبطي والإسلامي، ومدى التأثير والتأثر الذي يلاحظ في هيكل البناء والرمزية المعمارية لكل منهما، وسوف يتناول البحث– أيضًا – مدى التماثل في فكرة العبادة والطقوس... وغيرها من الممارسات الدينية التي عبرت عن هوية دينية لها خصوصيتها إلا أنها تؤكد مدى الترابط في الفكر الروحاني الممتد من العصر القبطي للعصر الإسلامي.

الكلمات الافتتاحية:

الرمز– الرمزية– الطقوس– العمارة الدينية – التكايا– الأديرة

Abstract

The rituals practiced within the monasteries or the takaya are through a series of verbal and non-verbal symbols with specific meanings and connotations to understand the religious phenomenon and to understand the behavior of those belonging to each religious era.

This research deals with the specificity of the religious rituals and the spiritual dimension in the monasteries of the Coptic and Islamic epochs, the extent of the Impact and influence observed in the building structure and the architectural symbolism of each. Which expressed a religious identity with its specificity, but it confirms the extent of coherence in the spiritual thought extended from the Coptic era of the Islamic era.

Key words
Symbol - symbolism - Ritual - Religious architecture - Altkaya – Monasteries

مقدمة

ماهية الرمز تتلخص في إدراك أن شيئًا يقف بديلاً عن آخر، أو يحل محله أو يمثله، بحيث تكون العلاقة بين الاثنين هي علاقة الملموس، أو المشخص، أو علاقة الخاص بالعام، على اعتبار أن الرمز هو شئ له وجود حقيقي، ولكنه يرمز إلى فكرة أو معنى مجرد، فالميزان مثلاً يرمز إلى العدالة، والحمامة ترمز إلى السلام، والصليب إلى المسيحية.(١)

والتعبير الرمزي لا يناقش فقط تلك المستويات الظاهرة من الوجود الإنساني، وإنما يصل الأمر إلى مستويات التعبير كافة، وفى بحثنا هذا نوضح الدلالة الرمزية لشكل من أشكال الثقافة المادية المتمثلة في العمارة الدينية (التكايا– الأديرة)، والتي تعبر عن خصوصية رمزية تمارس من خلالها طقوس روحانية عدة لها دلالاتها المميزة التي عبرت عن هوية دينية لكلا العصرين القبطي والإسلامي.

منهجية البحث

يتبع البحث مجموعة من الاتجاهات المنهجية، وهى:

المنهج التاريخي – المنهج الوصفي التحليلي – المنهج الرمزي – المنهج المقارن

مشكلة البحث

تتبلور مشكلة البحث حول التعبير الرمزي عن البعد الديني الروحاني من خلال الرمز المادي المتمثل في العمارة الدينية، وماهية الرمز داخل السياق التعبيري عن الجانب ، وآليات استخدام الرمز، وتعدد أشكاله، وكذلك البعد الميتافيزيقي للعمارة الدينية للتكايا والأديرة.

الرمزية المادية والطقس الديني

إن الطقس يأتي كنتاج لمعتقد معين، ويعمل على خدمته، ويجسد واقعًا سابقًا، ولما كان المعتقد الدينى هو المستوى الأول للتعبير الجمعى عن الخبرة الدينية التى خرجت من حيز الإنفعال العاطفى إلى حيز التأمل الذهنى(٢)، فإنه يعبر عن أسس ثابته لها مرجعيتها ووظيفتها الثابته.(٣)

---

١) عبد الحافظ، إبراهيم، ٢٠٠٩: ٢٤٧.

٢) حسن النوبي، محمد ، المفهوم الأنثروبولوچي للطقس المسكوت عنه في الأبنية الاجتماعية،(مقاله)، نقلًا عن: www.aranthropos.com

٣) Saler, Benson, 1987:395.

والرمز المادى يكتسب دلالته الطقسية عبر المكان الذى يتواجد فيه وعبر الزمان الذى أنشئ تبعًا لتوجهاته وأفكاره آنذاك، وهذا ينطبق على عمارة التكايا والأديرة وهى النموذج التاريخى الذى يوضح رمزية البناء من حيث اختيار المكان ودلالته وكذلك ضرورة ممارسة الطقوس عبره.

الرمزية والعمارة

الرمزية في العَمارة تأخذ منحى مختلف عن الفنون الأخرى فشكل المبنى ليس رمزاً لعاطفة، بقدر تعبير عن حقيقه وحاجة وجدوى أصبحت رمزًا، فالعمارة لغة تحمل مجموعة من الرموز يمتلك كل واحد منها معنى أو عدة معانٍ. والمشهد المعماري يمتلك شفرات توحي بالتراكمات الزمنيّة وتُقيّم وتُصنَّف بحسب الإدراك والتوجه.[١]

ميتافيزيقا العمارة الدينية

الميتافيزيقا فى أبسط صورها هى ماوراء الطبيعة وتبحث فى مشكلات الوجود اللامادى وهدف إلى البحث فيما وراء الظواهر وتقوم على التأمل الباطنى، فكل ما هو موجود رمز لحقيقة وراءه.[٢] وتتضح محورية دور الميتافيزيقا كباعث فكري في صياغة وتشكيل الفكر والنتاج المعماري، وفي صياغة وتشكيل الظواهر والطرز المعمارية التي تعجز الدراسات المادية وحدها عن تفسيرها[٣]

إذا كان الشكل أو الظاهر يعبر عن شيء ميتافيزيقي، فلابد كذلك أن المضمون والباطن الذي يحتويه هذا الشكل ميتافيزيقي وفي الحالتين فإن الباطن أو المضمون يعد ميتافيزيقا؛ لأنه نابع عن ما يعتقده الإنسان، الذى استبدل فيها كل ما هو رمزي وغير مدرك بكل ما هو مادي ومدرك. ويتضح ذلك من خلال تجسيد الفكر الدينى فى عمارة التكايا والأديرة كنماذج دينية لها ذلك البعد الميتافيزيقى والذى نجده ممتد الأثر منذ أقدم العصور وله فلسفته الرمزية كما سنذكر فيما يلى.

---

١) ثويني، علي ، الرمزيّة في العِمارة بين الوسيلة والغاية، نقلًا عن:
https://alroya.om/post/201563/

٢) الزهراء، فاطمة، ١٩٨٤: ٢٣.

٣) بهجت النبوي، حسام الدين، ٢٠١١: ٢٠.

ايكولوجيا البناء وعناصر الميتافيزيقا البنائية عبر العصور

إن العلاقة بين العمارة والايكولوجية هى علاقة تأثر بعوامل عدة (بيئية: مناخ- تربة- طاقة المكان) مورفولوجية البناء، مكانية(رمزية البناء فى الصحراء والعزلة)، توجية البناء (الاتجاهات)، مواد البناء، التشكيل الميتافيزيقى والبعد الرمزى الدلالى وتأثراته العقائدية.

على مر العصور نجد أن العمارة الدينية تهتم بتلك الجوانب كافة، فالبناء فى الصحراء كبناء الأديرة -على سبيل المثال- يرتبط بمدلول رمزي مميز، فريد في صورته المرئية. لعل الأسباب التي ساهمت في هذا التمييز تكمن في الموقع الجغرافي، ومفهوم العزلة والرهبنة، وحتى اتجاهات البناء والأجزاء المعمارية التى تدل على رمزية محددة، واستخدام مواد بناء بسيطة ومقاومة لعوامل الصحراء يمكن اعتباره دليلًا رمزيًا مهمًا في بعث الحياة وإمكانية استمرارها. فنجد مثلا أسوار تتخللها بوابات تعد رمزاً للحماية، وتحديد الكيان وربطه بالمحيط. ونقطة عبور من الفضاء المفتوح(الصحراء) إلى فضاء معيشي معرّف ، والتشكيل البنائى للشكل القبوى، أو شكل الصليب، كل هذا وأكثر ساعد -أيضاً- في إبراز ملامح تلك الصورة المرئية الفريدة، والتى نجدها بنفس المعانى لو تأملنا بناء التكايا فنجد أيضًا بنائية تشكيلية فريدة الرمزية، مثلها مثل البناء المعارى الدينى لدى المصريين القدماء مرورًا باليونانيين والرومانيين وصولًا للعصر الإسلامى وحتى العصر الحديث[١].

ملامح الميتافيزيقا في العمارة الفرعونية

لعل أهم تأثير للعبادة الآتونية على الفكر المعماري هو هذا الارتباط بين المبنى والإله آتون، ومحاولة الربط بين أشعة الشمس والمبنى، فأصبح المحدد الأول هنا عقائدي رغم مخالفة العوامل الفيزيقية، إضافة إلى تغير شكل الأجزاء المظلمة في المعابد، والتي تتمثل في قدس الأقداس والحجرات المقدسة، وقد أقيمت في ردهة غير مسقوفة لتسمح بدخول أشعة الشمس إليها.

أدت دعوة اخناتون إلى تغيير ملامح ومفردات التشكيل المعمارية وتغيير النتاج المعماري شكلاً ومضمون أوجدت نتاجاً فكرياً ومادياً مختلفاً في كل مناحي الحياة المعمارية، سواءً على المستوى التخطيطي أو التصميمي أو التشكيلي في المباني العامة كالمعابد والمباني السكنية كالقصور والبيوت تبعاً للتغير في العوامل الميتافيزيقية التي أحدثها فكر اخناتون[٢].

---

[١] بهجت النبوي، حسام الدين،٢٠١١: ٤٢.

[٢] بهجت النبوي، حسام الدين، ٢٠١١، ٤٢-٤٣.

ملامح الميتافيزيقا في العمارة اليونانية

مزج الإغريق العقائد الدينية باللغة المعمارية مما أدى لخروج عمارة قائمة على أصول ميثولوجية، ظل كل كيان معماري مقترناً بسبب أسطوري، ظهر ذلك في التعبيرات والملامح المعمارية للمباني الإغريقية. كما ظهرت التأثييرات الميتافيزيقية في تصميم المعابد الإغريقية التي يدور حولها محور الأحداث أعلى قمم الجبال وأحيطت بالأسوار واتصلت مع السفوح والأرصفة ، ومن المهم الإشارة إلى أن هذه المعابد كانت تعتبر مساكن الآلهة التي تتحكم في أقدار، وقد شيدت أعلى مرتفعات المدن لتتصل بالسماء ولمنحها القدر الأكبر من الخصوصية بعيداً عن العامة، وليكسبها الارتفاع عامل الحماية من الأعداء والعابثين.كما وضعت العناصر الراسية الحاملة للسقف في المعابد الإغريقية على المحيط الخارجي للمبنى ، كما جاء السقف بتشكيله الجمالوني بالواجهتين الطويلتين يعود بناؤه بهذه الصورة لسبب عقائدي؛ هو امتداد لأسلوب تغطية المزارات الدينية.[١]

ملامح الميتافيزيقا في العمارة الرومانية

يماثل المعبد الإغريقي لكن أكبر حجماً وسقفه مغطى، يبنى على هيئة ثلاثة مباني تعكس حرفU ويعتبر المعبد الروماني بيت الآلهة حيث تسبب تعددها في إنشاء معبد لكل إله فهي مركز اتصال السماء بالأرض، وتبنى فوق المرتفعات كالمعابد الإغريقية، وغالباً ما يأتي كمستطيل عادةً تكون في نهايته دائرة، كما يأتي التشكيل ثلاثي الأبعاد كمستطيل مجسم يعلوه سقف جمالوني مغلق، ويتوج فراغ المعبد الرئيسي قبة نصف دائرية .كما نجد فراغ المعبد الرئيسي دائرياً ويغطي هذا الفراغ بقبة نصف دائرية، وهو عنصر أضافه الرومان لم يكن عند الإغريق، تعتلي القبة الفراغ الرئيسي الدائري حيث تترك فتحة علوية في قمتها حتى لا ينقطع الاتصال بين ضوء الإله في السماء وتماثله على الأرض الموجود أسفلها مباشرة.

ملامح الميتافيزيقا في العمارة المسيحية

تأثرت العمارة المسيحية بالرموز الدينية الميتافيزيقية، وانعكس ذلك على تصميم الأديرة والكنائس، والذي امتثل إلى رمزية دينية مميزة للمسيحية، وهو الصليب، حيث يمثل المسقط الأفقى في البناء الكنسي، كما تأثر البناء بالصليب البيزنطي، والروماني،واللاتيني[٢].

---

١) بهجت النبوي، حسام الدين، ٢٠١١، ٤٥.

٢) بهجت النبوي، حسام الدين، ٢٠١١، ٤٥.

ملامح الميتافيزيقا في العمارة الإسلامية

نجد المساجد ذات الصحن المركزي مع أروقة ترتكز على صفوف من الأعمدة مثل: مسجد أحمد بن طولون، كما سيطر شكل المربع على التصميم الذي اعتبر رمزا وملمحاً مميزا للأشكال الهندسية الإسلامية .ظهر كذلك تأثير العمارة العربية التراثية في وجود الفناء الرئيسي الذي يعطي الخصوصية ويمنح الرؤية إلى السماء، كما نجد مساجد المدرسة أو الإيوان مثل: مسجد السلطان حسن وهو نموذج لمسجد مقسم إلى أربعة إيوانات مستوحىً من المذاهب الفقهية الأربعة التي يرجع إليها المسلمون في عباداتهم ومعاملاتهم، كما تأثر كبقية المساجد بتصميم القبة المركزية التي ترمز إلى السماء لتعطي الرحابة وتزيد من إحساس قرب الإنسان من ربه .ظهرت كذلك بعض الملامح المعمارية المتأثرة بالفكر العقائدي الميتافيزيقي للدين الإسلامي فظهرت شرفات المسجد(العرائس)؛ كدلالة على تماسك المصلين وقوة صفهم كبناء مرصوص يشد بعضه بعض.كما ظهرت الزخارف النباتية بدلاً من الزخارف الحيوانية والتماثيل؛ نظراً لتحريمها في العقيدة الإسلامية. كما استخدمت الكتابات القرآنية كشكل زخرفي يزين المساجد من الداخل والخارج، كما اتسمت عمارة المساجد بالمآذن العالية التي كانت تستخدم للآذان، ومع تطور الزمن أصبحت ترمز لارتفاع الصلاة إلى السماء وعلاقة الإنسان بربه عن طريق الدعاء[١].

مما سبق نستطيع أن نقول أن العمارة قد تأثرت تأثراً كبيراً بالميتافيزيقا عن طريق الامتثال للفكر التعبدى الذى يفرض رمزيات ميتافيزيقيه خاصة بكل عقيدة.

العناصر المعمارية للأديرة والتكايا ودلالاتها الرمزية

إن المرجعية التاريخية للفكر الميتافيزيقى كما ذكرنا سلفًا يفرض حقيقة حتمية، وهى أن العقيدة والفكر هما الأساس فى البناء المعمارى الدينى، ولما كانت التكايا والأديرة أحد النماذج المهمة التى تعبر عن العمارة الدينية فلكل منها مرجعيتة التى تتبنيى الفكر الصوفى، وعليه فكان لابد أن نعرض لمفهوم الرهبنة والتصوف، والراهب والمتصوف إذ يمثلون الأساس العقائدى داخل التكايا والأديرة.

الرهبنـــة: هو نظام ديني إرتبط مفهومه ومعناه ارتباط وثيق بالدين المسيحي، وهو ليس فرضاً على أى فرد مسيحي، بل هو لتلك الصفوة المختارة من الله للنعمه السماوية التي اختصهم بها الله دون سواهم، والرهبنة تعني التعبد، **والراهب** هو المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة[٢].

---

١) بهجت النبوي، حسام الدين، ٢٠١١: ٦٢-٦٤.
٢) ابن منظور: لسان العربي، ١٣٠٠هـ: ٤٢٠.

في الواقع أن حياة الرهبان داخل الأديرة كان لها منهج معين، لازمه وحدات معمارية ثابتة في عمارة الدير. وقد ساعد التخطيط العام والمساقط الأفقية والواجهات الأفقية والواجهات الخارجية يعكس أيضاً نواحي معمارية وتاريخية وسياسية مصاحبة لتلك الفترة[١].

التصوف:هو تجربة إنسانية تنشد تحرير النفس البشرية من أسر المادة والشهوات والانطلاق بها نحو عوالم الغيب والسمو، هو فكر وسلوك منتشر بين شعوب الأرض على اختلاف أصولها وعقائدها. **والصوفي** هو عابد متنسك انقطع عن الدنيا وأصبح له روحانياته وأفكاره وطقوسه، قد لا ينفصل عن العالم الخارجي جسدًا، لكنه قد انفصل روحا وأصبح يمارس رياضات روحانية خاصة.

نلاحظ تماثل الحالة الوجدانية والتعبدية لكل من المتصوف والراهب واشتراكهم فى ملامح عقائدية تختلف فقد باختلاف الطقوس لكل منها حسب ديانته، فمن الملاحظ أيضًا اشتراكهم فى فكر بنائي واحد وهو التكايا والأديرة والتي سنلاحظ تماثلًا في الفكر البنائي بينهما.

أولا: الأديرة

الدير هو المكان الذي يتعبد فية الرهبان، وهو من الناحية المعمارية عبارة عن مجموعة من الأبنية المتعددة ذات الطابع الديني المسيحي. ويذكر القريزي أنه خانت النصارى، والجمع أديرة وصاحبه ديار وديراني، كانت الأديرة في العصور الأولى مختلفة عن الموجودة الآن، بل كانت بيوتاً منحوتة في الجبال ومغاير متفرقة بدون أسوار، ثم عندما بدأت حبال الأمن تنثرم شرع الرهبان في تشييد البروج والحصون وبعد قليل بنيت الأسوار لحمايتهم، واقامو كنيسة كبرى في وقت لاحق؛ لإقامة الاجتماعات والصلوات، وأضافو الجوسق (البرج أو القستيلية) وهو المكان المخصص للدفاع عن الدير وأصبح الدير معدًا ليكون مدينة كاملة متكاملة المعاني والخدمات[٢].

العناصر المعمارية المكونة للدير:

أصبحت الكنيسة مرتبطة إرتباطاً كاملاً بالدير والمائدة. كان طابع الكنيسة التواضع في المقياس لا الفخامة، والبساطة لا للتعقيد. فقد كان الرهبان نفسهم هم الذين يبنونها. وأصبحت التغطية الغالبة هي الأقبية المصنوعة من الطوب والقباب لعدم توافر الأخشاب في الأماكن النائية التى بنيت فيها هذه الأديرة، مما انعكس في وجود حوائط سميكة مائلة، ومنشآت تتميز بالثقل والارتباط بالأرض[٣].

١) عزيز، مهاب ماهر، ٢٠٠٠: ١٩.

٢) يوسف، وجيه فوزي، ١٩٧٤: ٢٣.

٣) عزيز، مهاب ماهر، ٢٠٠٠: ٢٠.

يتكنون الدير من ست أجزاء رئيسة هى:

١) السور ٢) الحصن ٣) الكنيسة ٤) القلالى ٥) حجرة المائدة ٦) المقبرة أو مدفن الرهبان

(صورة١)

١) السور (صورة١)

تبنى عادة بارتفاع كبير، حتى لا يمكن تسلقها أو إختراق الدير من خلالها وعادة ما يوجد بها مدخل واحد يكتنفه برجان كبيران، وطريقة البناء هي البناء بالدبش الغير مروم، ومركب بأعلى السور عند البوابة جرس مدلي منه حبل ليستعمله من يريد الدخول. وتزود هذه الأسوار بفتحات خاصة أعلى مدخل الدير، بالإضافة إلى تدعيم هذه الأسوار بأبراج تسمح بالمراقبة من وقت لآخر، ودعائم قوية سائدة من أشكال مختلفة مستطيلة ومربعة ونصف دائرية ومخروطية الشكل.

(صورة٢)

٢) الحصن (صورة٢)

بنى لحماية الرهبان وهو عبارة عن بناء رباعى الاضلاع يتكون غالبا من طابق أرضى وطابقين علويين أو أكثر من ثلاثة طوابق، ويتم الدخول إلى الحصن عن طريق جسر خشبى متحرك ويمكن رفعه بواسطة سلاسل، وفى أغلب الاحيان يحتوى الطابق الأرضى على مسكن للنوم ومراحيض، أما الطابق السفلي حجرات وسراديب كوسيلة أمان إضافية، أما الطابق العلوى به كنيسة. [١]

٣) الكنيسة

هي كلمة أصلها عبري " كنيست" وتعني محفل، وبالسريانية " كفشتا" وتعنيجماعة أو اجتماع، وأما في اليونانية فهي " إكليسيا " Εκκλησια " وهي مشتقة من فعل أكالو بمعنى أدعو. ومعناها في الأصل اجتماع أناس كثيرين مدعوين لغرض واحد في مكان واحد، ولقد اسخدمت هذه الكلمة في اليونانية قديماً بمعنيين، الأول لتعبر عن أى اجتماع لمجموعة من الناس للنظر في أى قضية مدنية

١) الأرمني، أبو صالح، ١٨٩٥: ٩١.

وفي هذه الحالة تترجم محفلاً، والثاني لتعبرعن الاجتماعات الدينية وفي هذه الحالة تترجم كنيسة[١].
وتعد الكنيسة من أهم الأبنية المعمارية داخل الدير.

٤) القلالى (صورة٣)

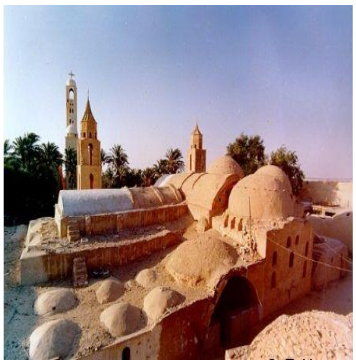

(صورة٣)

تعد القلالي من أهم العناصر المعمارية المكونة لعمارة الدير، وربما كانت هي النواة الأولى لتشكيل الأديرة، وقيامها في بداية طورها الأول، والقلاية أشبه بحجرة صغيرة، يعيش فيها الراهب طوال حياته، وفي أديرة وادي النطرون التي تميل إلى نظام التوحد، نجد القلاية للراهب بدأت منفرد تماماً، فكانت تحوي أكثر من حجرة واحدة، لأن معيشة المتوحد مستقلة، وفي قلايته يكمل كل حاجات معيشته من طهي وأكل وقراءة وشغل ونوم، وتذكر المراجع التاريخية أن القلاية الأولى كانت تعد في أماكن بعيدة يعيش فيها الرهبان، ثم يلتقون معا داخل كنيسة الدير في بعض الأيام المحددة لهم.[٢]

٥) حجرة المائدة (صورة٤)

تذكر المصادر القديمة أنه منذ القرن الرابع الميلادى كان الرهبان يتناولون وجبة الأجابى (Agape) أو وجبة (المحبة) وهى وجبة ذات طابع شبه طقسى يقتسمها الرهبان المسيحيون مرة كل اسبوع داخل
الكنيسة. سقف حجرة المائدة مغطى بقباب نصف كروية او قباب مندمجة. ويتكون غالبًا أثاث المائدة من منضدة منخفضة قليلًا وهى تمد بطول الصالة، ومبنية عادة من الحجرة، وأطرافها حوافها مرتفعة لمنع سقوط الطعام على الأرض، و يميز الحجرة ما يسمى المنجلية أو المقرأةLecternٍ ، ويتم قراءة أجزاء من الإنجيل أثناء تناول الطعام[٣] .

---

١) البراميسي، أنطونيوس، (ب.ت): ١٤.
٢) متى المسكين، الأب ، ١٩٨٤: ٣٢٨.
٣) شيحة، مصطفى عبد الله، ١٩٨٨: ٧٤.

٦) المقبرة او مدفن الرهبان

هى مدافن خاصة للرهبان داخل أديرتهم، وتسمى فى اليونانية (طافوس)، ومصطلح "طافوس"عبارة عن كلمة يونانية ταφος تُنطق بنفس نطقها اليوناني في العربية، وهي القبر أو اللحد، ويعد اصطلاحًا سائدًا في الأديرة على وجه الخصوص. وتعد المقبرة من العناصر القديمة المكونة للدير، وقد أخذت أشكال مختلفة، فتارة نجدها خارج الدير، تكون عبارة عن بداية من الطوب أو الآجر فوقها صليب، وتارة نجدها داخل الدير في فناء مكشوف. [١]. كما تحتوى الأديرة على عناصر أخرى كالمكتبة، و قصر الضيافة، والبئر، والمعاصر، والطواحين، كما استحدث عنصر اخر وهو بيت الخلوه.

ثانيًا: التكايا

التكيه لغوياً جمعها تكايا، وهى فى إجمالها "بيوت للعباده" يسكنها الدراويش، ويعتمدون فى معيشتهم على أوقاف خصصت لذلك، يرجع أصل الكلمة إلى الفعل العربي "إتكأ" بمعنى استند أو اعتمد، خاصة أن معاني كلمة "تكية" بالتركية تعني الاتكاء أوالاستناد إلى شيىء للراحة والاسترخاء. ومن هنا تكون التكية بمعنى مكان الراحة والاعتكاف.[٢]

تأتى التكية فى المصطلح الفارسى(بمعنى المكان الذى يجتمع فيه المتصوفة للذكر والعبادة)، وكلمة(DEKIA) كلمة قبطية تعنى القلاية[٣]، وتطلق على المكان المنعزل فى الجبال، والذى يتعبد فيه الرهبان وذلك فى العصور البطلمية وقد حرفت الى كلمة تكية، واطلقت على أماكن العبادات للزهاد والمتصوفة). [٤]

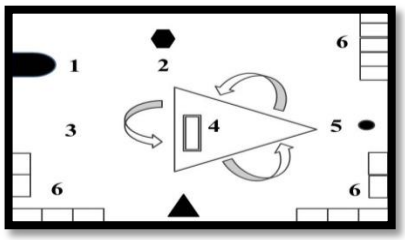

(شكل ١)

تتكون التكية من ست أجزاء رئيسة(شكل ١) هى:

١)المدخل **٢) الصحن**

٣) القبة **٤) السماع خانه**

٥) المحراب **٦) خلاوى الدراويش**

---

١) الشباشتي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ب.ت): ٣٦.

٢) محسب، حسام،٢٠١٠: ٢٩.

٣) مصطلح يرتبط بالتصوف من حيث أن المريد يحرق شهوات نفسه حتى يصفو لله، ويصبح قلبًا طاهرًا نقيًا، ثم يحترق، ويفنى فى الحب الإلهى.

٤) محمد حسنين، عبد المنعم،١٩٩٥: ١٣٥.

١) المدخل (صورة ٥)

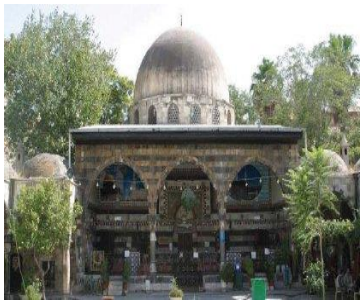

(صورة ٥)

يقع في الضلع الشمالي الغربي، وهو مدخل بسيط عبارة عن فتحه مستطيله يعلوها عتب مستقيم، متوجه بعقد نصف دائري، وكتلة المدخل تبرز قليلاً عن واجهة التكية، ويؤدى المدخل مباشرة إلى ممر قصير يليه مباشرة سلم حجري من عشر درجات يؤدى إلى صحن التكية، والوحدات الملتفة حوله، ويتصل المدخل بالقبة الضريحية عن طريق باب مفتوح في جداره الشرقي، والقبة بذلك تكون ملاصقة للمدخل من جهتها الجنوبية الغربية.

٢) الصحن (صورة ٦)

(صورة ٦)

يقع الصحن أسفل قاعة السماع، وهو صحن مستطيل تجاوره نافورة، وهى من العناصر التي حرص المعمار على إضافتها خاصة في المنشآت الدينية المرتبطة بالوضوء، والطهارة، فضلاً لما لها من آثار نفسية مريحة على مرتادي هذه المنشآة[١].

٣) القبة (صورة ٧)

(صورة ٧)

عبارة عن فتحة باب مستطيلة يعلوها عتب مستقيم يحيط به زخرفة، وتأخذ القبة مسقط مستطيل أقرب إلى المربع، وهو تخطيط غير مألوف فى عمارة القباب ذات المسقط المربع دائمًا، وتستند القبة على إثنا عشر عموداً من الخشب تحمل بائكة دائرية العقود.[٢]

١) سعيد هلال، ماهر، ١٩٩٩: ٣٤٥.

٢) سعيد هلال، ماهر ،١٩٩٩: ٣٥٥.

٤) السماع خانه (صورة ٨)

(صورة ٨)

تعد قاعة الذكر المعروفه باسم (السماع خانه) من أهم الأجزاء بالتكية واحد اهم الامثلة على ذلك قاعة السماع خانه الموجودة بالتكية المولوية، ويتألف تخطيط القاعه من الداخل من حجرة كبيرة مربعة وتغطيها قبة خشبية. وتحتوى القاعة على طابقين، الطابق السفلى تتوسطه طبلية خشبية مستديرة يحيط بها دائرتين من الحواف الخشبية تتخلله اثنتى عشر عموداً من الخشب [١].

٥) المحراب (صورة ٩)

(صورة ٩)

يتصدر المحراب الجدار الجنوبى الشرقى للقبة الضريحية، وهو عبارة عن تجويف نصف دائرى، بنى الجزء الأسفل منه من الحجر أما الجزء العلوى فهو مبنى من الطوب المحروق، ويعلو تجويف المحراب طاقية كروية على شكل ربع دائرة، وزاويتى المحراب نجد بكل منهما عمودان من الرخام، ويحيط بعقد المحراب شريط كتابى نفذت فيه الكتابة بخط النسخ،

وهو نفس الخط المستخدم فى تزيين أعلى التربيع الأرضى للقبة.

٦) خلاوى الدرويش (صورة ١٠)

(صورة ١٠)

تتقدم هذه الخلاوى قاعة السماع خانه من الناحيه الجنوبية الشرقية، وتأخذ فى مجملها شكل مربع ناقص ضلع تلتف حول صحن مكشوف يتوسطه نافورة رخامية، وتأخذ الاسقف شكل مقبب نصف دائرى[٢].

١) سامي عبد الجواد، أحمد،٢٠٠٣: ٦٢.

٢) سعيد هلال، ماهر،١٩٩٩: ٣٦.

القلالى وخلاوى الدراويش ودورهما فى التعبير عن الطقس الروحانى

هناك تماثل واضح المعالم بين الخلوة عند الصوفية، والقلالى في المسيحية، فالانقطاع عن الدنيا وشهواتها وملذاتها، لفترة كبيرة أو قصيرة، جعلت هذا التشابة يظهر بصورة كبيرة في كافة التصرفات التى يمارسها المتصوفين والرهبان داخل قلايتهم وخلاويهم.

والعرض لهذان النموذجان من العناصر المعمارية للتكايا والأديرةح ربما لانهما نموذجان يعبران عن فكر روحانى كان اللبة الاولى فى إنشاء رمز أكبر وهو التكايا والأديرة، فالخلوة الصوفية هى عبادة لها طقوسها من حيث الزهد وبساطة التكوين وادوات المعيشة، ونوعية الطعام. وهى أمر روحانى مقدس يتتبعه الصوفى داخل رمزية مادية لها بعدها الميتافيزيقى اللامادى.

وكذلك الحال بالنسبة لقلالى الرهبان، ونلاحظ ان القلاية فى تكوينها العام تشبه المقبرة المبينة فالراهب كان يعتبر نفسة قد مات عن العالم الدنيوى، وبالتالى فان المقبرة هى المثوى الأخير له، وعلى ذلك اتجه للعيش بها. (١)

الدلالات الرمزية للتأثيرات العقائدية في التكايا والأديرة

نجد العديد من الرمزيات المتضمنة للعمارة في التكايا والأديرة، والتي نجدها رمزية تاريخية، فعلى سبيل المثال نجد:

أن رمزية القبة والبناء الدائري الداخلي لكل من التكايا والأديرة هو تصميم روحاني فالأعمدة الحاملة للقبة تتكئ عليها الأسطح على الفراغ الداخلي لتفصله عن العالم الخارجي المادي وبذلك استطاع المعماري تصميم عالم داخلي روحاني يساعد على أداء جميع الصلوات والتوجه إلى الله في تركيز وخشوع.فالفراغ داخل القبة والتدرج من الداخل للخارج يعنى التدرج من السماء للأرض، والبناء المعماري لسقف الكنيسة يشبه سفينة مقلوبة وهو رمز سفينة نوح سفينة النجاة.

كما نجد أن النجمة الثمانية وهو رمز تشكيلي نجدة في العمارة الإسلامية والقبطية هو في أصله رمز للشمس، وهو جذر فرعوني، يرمز لإله الشمس وهو رمز العطاء والعظمة.

---

١) قادوس، عزت، ٢٠٠٦: ٦٠.

كما نجد شكل المنبر الإسلامي الذي يتأثر بأنبل الكنائس، والمئذنة تماثل منارة الكنيسة ذات الأجراس، والمحراب يعادل الحنية أو التجويف في الكنيسة، وهو يماثل قدس الأقداس في المعابد المصرية القديمة.

هناك رمزية تشكيلية أخرى نجدها في رمز الصليب المعقوف الذي يدل على استمرارية الحركة والحظ والحياة الطويلة ويرتبط بدورة الحياة، وحركة الدوران التي نجد لها تصورًا في الحياة الصوفية والدوران الصوفي هي نفس حركة الصليب المعقوف، كما أنه قد استخدم كأحد عناصر الزخرفة الإسلامية.

وهناك رمزية التوجيه المعماري واتجاهات الحركة للشرق مثل فكرة المعابد المصرية القديمة؛ حيث تشرق الشمس لتنير وجه الإله أو الوقوف باتجاه الهيكل وهو عنصر موجود في التكايا والأديرة، والشرق في المسيحية هو رمز صعود السيد المسيح متجها نحو الشرق، وفى الإسلام الشرق هو اتجاه القبلة .

وهناك رمزية ميتافيزيقية تتمثل في دورة الحياة، ووحده الفكر الروحاني والذي نجده في التصميم المعماري للمعابد تليها الأديرة والتكايا، فقد صممت المعابد بحيث يكون هناك خط وهمي ممتد من المدخل إلى قدس الأقداس، مرورًا بالفناء، ثم البهو وهو رمز لرحلة الحياة الدنيوية

من المدخل ___إلى المدفن (رحلة الحياة)

الصحن = الجنين– إيوان القبلة = الشباب– المحراب = الشيخوخة– المدفن = نهاية الحياة

الخاتمة والنتائج

إن ما عرضة البحث من نموذج لعمارة دينية رمزية المعنى، إنما هو وصف موجز لمرجعية التحليل الرمزى لأشكال العمارة الدينية كافة عبر مر العصور، والذى أكد على الطابع الميتافيزيقى للعمارة وارتباطها بالطقس الدينى الروحانى، تأكيدًا على الطابع الوظيفى للرمز الذى يعنى بالمادى واللامادى فى آن واحد، بل ويربطهما مما يؤدى إلى توضيح المعنى المرجو. وقد خلص البحث إلى بعض من النتائج من أهمها:

- أن عمارة الأديرة والتكايا نموذجان متماثلان يحملان العديد من خصائص العمارة المصرية القديمة.
- كانت للعقيدة والرمزية أثرًا كبيرًا فى العمارة الدينية، وقد عبر عن ذلك العديد من الرموز الدلالية كشكل القبة–على سبيل المثال–، والاستخدام التشكيلى المختلف لها فى أجزاء كل من الدير والتكية، كذلك رمزية التوجه فى البناء ناحية الشرق، ورمزية خط الحياة الوهمى الذى يجسد ورة حياة الفرد...وغيرها من رمزيات ذكرناها سلفًا.
- ارتباط الفرد بهويته الدينية من خلال تجسيدة لعمارة دينية يحمل بداخلها معتقداته وأفكاره وأشكال تعبده الممتدة عبر العصور كل حسب دينه وهويته.
- امتداد الوظيفة الدينية والاجتماعية للأديرة بكافة رمزيتها، واقتصر دور التكايا على بعض الجوانب الفنية، وأصبحت أماكن للزيارة وإقامة بعض الطقوس الفنية.
- هناك بعد تنموي يمتثل لقيم العمارة المستدامه، ويتضح ذلك فى العمارة الدينية عبر العصور، حيث الاهتمام بالتوازن البيئي عن طريق الاعتماد على نظم إيكولوجية تخدم الوظيفة المعمارية الدينية، وكذلك استخدام مواد بناء من الموارد الطبيعية التى تضمن البقاء والاستمرار للعنصر المعمارى، وهو العنصر الصامد إلى وقتنا الحالى، دون الإخلال بأسس وأهداف العمارة، وبالميتافيزيقيا وعناصرها، وقد ظهر أثر ذلك في النتاجات المادية في الحضارات المختلفة، وهذا يتضح فى عمارة التكايا والأديرة التى ندرس أثرها إلى الأن، حيث فرضت الميتافيزيقا معتقداتها وتوجهاتها كإطار مرجعي يوجه الفكر والسلوك للفرد وللمجتمع، وهكذا فقد جاء النتاج المعماري تعبيرًا عن قواعد العمارة المستدامة؛ مما يثبت تطور فكر المعمارى المصرى القديم.

المراجع

- (ابن منظور)١٣٠٠هـ: لسان العربي، عشرون جزء، مطبعة بولاق، الطبعة الأولى ج١.
- الأرمني(أبو صالح)،١٨٩٥: كتاب كنائس وأديرة مصر، أكسفورد.
- البراميسي(أنطونيوس)،(ب.ت): أيقونة السماء، مطبعة دير البراموس، القاهرة، الطبعة الثانية.
- الزهراء(فاطمة)،(١٩٨٤) العناصر الرمزية في الأدب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة.
- بهجت النبوي (حسام الدين)،٢٠١١: ميتافيزيقا العمارة في القرن العشرين(رؤية تنظيريه)، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة، جامعة عين شمس.
- سامي عبد الجواد(أحمد)، ٢٠٠٣: موسيقى المولوية في مصر ودورها في إثراء الموسيقى العربية.
- سعيد هلال(ماهر)، ١٩٩٩: تكايا العثمانين ودورهم الحضارى، دار الكتب للنشر، القاهرة.
- الشباشتى (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، (ب.ت): كتاب الديارات تحقيق: لاكوركس عواد، بغداد.
- عبد الله شيحة(مصطفى)، ١٩٨٨: دراسات في العمارة والفنون القبطية، القاهرة، هيئة الآثار المصرية.
- عبد الحافظ(إبراهيم)،٢٠٠٩: الشعر الصوفي الشعبي، المركز القومى للمسرح، وزارة الثقافة.
- ماهر عزيز(مهاب)، ٢٠٠٠: دراسة تحليلية لعمارة الأديرة بصعيد مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتبة كلية الهندسة، جامعة المنوفية.
- قادوس(عزت)،٢٠٠٦: الآثار القبطية والبيزنطية، دار الحضرى للطباعة، الإسكندرية.
- متى المسكين(الأب)،١٩٨٤: الرهبنة في عصر القديس أنبا مقار، الطبعة الثانية، القاهرة.
- محسب (حسام)، ٢٠١٠: أشكال الأداء الحركي عند المولاوية، أكاديمية الفنون، القاهرة.
- محمد حسنين (عبد المنعم)، ١٩٩٥: قاموس الفارسية، الموسوعة العلمية للنشر.
- فوزي يوسف(وجيه) ،١٩٧٤: تطور الكنائس القبطية الأرثوذكية بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتبة كلية الهندسة، جامعة عين شمس.
- حسن النوبي(محمد)، المفهوم الأنثروبولوجي للطقس المسكوت عنه في الأبنية الاجتماعية،(مقاله)، نقلًا عن:

www.aranthropos.com

ثويني، علي ، الرمزيّة في العِمارة بين الوسيلة والغاية، نقلًا عن:

https://alroya.om/post/201563/

Saler (Benson), Religion and the definition of religion “Cultural Anthropology”, SAGA publishing, London, 1987.